

﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [34] الفرقان:

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا أَثْبَتَتِ الْآيَاتُ السَّابِقَةُ أَنَّ الْمَشْرِكِينَ مُعَانِدُونَ لِرَبِّهِمْ، وَيَحَاوِلُونَ بِسُؤَالَتِهِمْ إِضْلَالَ نَبِيِّهِ ﷺ وَاحْتِقَارَ مَكَانَتِهِ، وَهَذَرِ مَنْزِلَتِهِ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَعَمَى بَصَرِهِمْ وَبَصِيرَتِهِمْ عَنِ الْحَقِّ؛ اسْتَأْنَفَ الْإِخْبَارَ عَنْهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِأَنَّهُمْ سَيُجْمَعُونَ مَقْهُورِينَ، مَقْلُوبِينَ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ مَسْحُوبِينَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ⁽¹⁾.

جزاء الظَّالِمِينَ
دَارُ الشَّقَاءِ،
فَإِنَّ أَحَقَرَ الْخَلْقِ
مَنْ يَنْتَقِصُ مِنْ
رَسُولِ الْحَقِّ

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿يُحْشَرُونَ﴾: (حشر) أصلُ الْحَشْرِ الْجَمْعُ، وَكُلُّ جَمْعٍ حَشَرٌ، وَلَكِنْ مَعَ السَّوْقِ وَالْبِعْثِ وَالْإِنْبِعَاثِ، وَإِذَا جُمِعَتِ الْقَوْمُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ فَقَدْ حَشَرْتَهُمْ، وَمَوْضِعُ الْحَشْرِ يُسَمَّى مَحْشَرًا، وَيَكُونُ حَشَرُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِنَشْرِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَسَوْقِهِمْ إِلَى الْمَوْقِفِ وَجْمَعِهِمْ فِيهِ، يَقُولُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: 47]؛ فَالْحَشَرُ: سَوْقٌ مِنَ الْمَقَارِّ، وَيَزِيدُ عَلَيْهِ الْجَمْعُ؛ وَهُوَ التَّضَامُّ فِي الْمَكَانِ الْمَحْشُورِ عَلَيْهِ، وَسُمِّيَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَوْمَ الْحَشَرِ⁽²⁾.

(2) ﴿شَرٌّ﴾: (شرر): الشَّرُّ: هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي يَرِغَبُ عَنْهُ الْجَمِيعُ وَيُنْهَازُ؛ فَهُوَ الْأَمْرُ الْمَكْرُوهُ، وَمِنْ مَعَانِيهِ: الْمَعَابَةُ، وَالضَّرُّ، وَعَدَمُ مَلَائِمَةِ الشَّيْءِ لِلطَّبَعِ⁽³⁾، وَالْأَصْلُ فِي هَذَا اللَّفْظِ: اسْتِعْمَالُهُ فِي

(1) البقاعي، نظم الدرر: 381 - 382، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 10 / 195.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّائِبُ، الْمَفْرَدَاتُ، وَجِبِل، للعجم الاشتقاقِي لِلْوَصْلِ: (حشر).

(3) الزَّائِبُ، الْمَفْرَدَاتُ، وَالسَّمِين، عُمدَةُ الْخَفَاطِ، وَجِبِل، للعجم الاشتقاقِي لِلْوَصْلِ: (شرر).

التَّفْضِيل، فَحُذِفَتْ هَمْزُهُ لِأَنَّهُ عَلَى تَقْدِيرٍ: (أَشْرَّ)⁽¹⁾، وَمَعْنَى الشَّرِّ فِي الْآيَةِ: أَسْوَأُ خَلَقَ اللَّهُ، وَأَكْثَرُهُمْ شَرًّا⁽²⁾.

(3) ﴿مَكَانًا﴾: (مَكَان) الْمَكَانُ: مَوْضِعُ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ، وَيُعْرَفُ أَيْضًا بِأَنَّهُ الْمَوْضِعُ الْحَاوِي لِلشَّيْءِ، فَهُوَ مَأْوَاهُ وَمَسْكَنُهُ، وَيَدُورُ مَعْنَى الْكَلِمَةِ مَحْوَرِيًّا حَوْلَ رَسوخِ الشَّيْءِ مُتَجَمِّعًا فِي بَاطِنٍ يَلْتَمِمْ عَلَيْهِ⁽³⁾، وَمَعْنَى الْمَكَانِ الْأَشْرَّ فِي الْآيَةِ: أَيِ: الْمَنْزِلِ الْوَضِيعِ، وَالْمَصِيرِ الْمَحْتَوَمِ⁽⁴⁾.

(4) ﴿وَأَضَلُّ﴾: (ضَلَّ): الضَّلَالُ: الْغَيْبُوبَةُ وَالْخَفَاءُ وَالسِّرُّ، يُقَالُ: ضَلَّ الْمَاءُ فِي اللَّبَنِ، إِذَا غَابَ، وَالضَّلَالُ أَيْضًا: الْإِنْحِرَافُ وَالْمِيلُ عَنِ الطَّرِيقِ، يُقَالُ: ضَلَّ فُلَانٌ يَضِلُّ ضَلَالًا: إِذَا انْحَرَفَ وَضَاعَ، وَلَمْ يَهْتَدِ إِلَى الطَّرِيقِ، وَضَلَّتْ الشَّيْءَ أَضَلُّهُ: إِذَا جَعَلْتَهُ فِي مَكَانٍ وَلَمْ تَدْرِ أَيْنَ هُوَ⁽⁵⁾، وَضُدُّهُ: الْإِهْتِدَاءُ، وَالِاسْتِقَامَةُ، وَالرَّشَادُ، وَالْمَقْصُودُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ فِي الْآيَةِ: أَيِ: الطَّرِيقِ الْمَوْصِلِ إِلَى الْهَالِيَةِ، وَهُوَ الطَّرِيقُ إِلَى النَّارِ⁽⁶⁾.

(5) ﴿سَبِيلًا﴾: (سَبَلَ): وَقَدْ وَرَدَ كَثِيرًا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالْغَالِبُ فِي مَعَانِيهِ أَنَّهُ بِمَعْنَى الطَّرِيقِ⁽⁷⁾، وَقَدْ يَرِدُ بِمَعْنَى الْهَدَايَةِ وَالْإِيمَانِ، وَالْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ فِي الْآيَةِ أَنَّهُمْ ابْتَدَعُوا عَنِ الْحَقِّ، وَاتَّبَعُوا الْبَاطِلَ؛ فَكَانُوا أَخْطَأَ طَرِيقًا مِنْ سَوَاهِمِ؛ وَذَلِكَ بِمَدْعَاةِ كُفْرِهِمْ⁽⁸⁾.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

وَعِيدٌ مِنَ الْحَقِّ ﷻ يُحَذِّرُ فِيهِ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ يَوْمَ

حَشَرُّ عَلَى
الْوُجُوهِ إِلَى النَّارِ
إِلَى شَرِّ الْمَنَازِلِ
وَأَسْوَأِ الْمَصَائِرِ

(1) أَبُو الْغَدَاءِ، الْكُنَاشُ: 340 / 1.

(2) الْوَاحِدِيُّ، التَّفْسِيرُ الْوَسِيطُ: 340 / 3.

(3) الْأَزْهَرِيُّ، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ، وَالزَّاعِبُ، الْفَرَزْدَاتُ، وَجَبَلُ، الْعَجْمُ الْاِشْتِقَاقِيُّ الْوُضْلُ: (مَكَان).

(4) الْخَازَنُ، لُبَّابُ التَّأْوِيلِ: 314 / 3.

(5) ابْنُ فَارَسٍ، مَقَالِيسُ اللَّغَةِ، وَابْنُ عَبَّادٍ، الْحَيْطُ فِي اللَّغَةِ، وَابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ: (ضَلَّ).

(6) ابْنُ أَبِي زَمَنِينَ، تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ: 260 / 3.

(7) السَّمِينُ، غَمْدَةُ الْخَفَاطِ: (سَبَلَ).

(8) الشَّرِينِيُّ، السَّرَاجُ لِلنَّبَرِ: 661 / 2.

القيامة، فسيُحشرون سَيْرًا إلى النَّارِ على وجوههم، مُذَلَّلِينَ وَخَزَايَا؛ فَإِنَّ الَّذِي أَمْسَاهُمْ على أقدامهم قَادِرٌ أَنْ يُمَشِّيَهُمْ على وجوههم حقيقةً، وقد يُراد بالمشي على الوجوه الاستعارة للذلة والخزي والهوان⁽¹⁾؛ فيؤول أمرهم إلى أكثر المنازل والأمكنة سوءًا وهوانًا، وأشدّها ضلَالًا في الدِّين والخروج عن طريق المؤمنين.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

نُكْتَةُ فَصْلِ الْآيَةِ عَنْ سَابِقَتِهَا:

فَصِلَتِ الْآيَةُ: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ عَمَّا قَبْلَهَا؛ لِأَنَّهَا اسْتِثْنَاءٌ ابْتِدَائِيٌّ، بَادِئَةٌ بِسِيَاقٍ مُسْتَقِلٍّ، وَفِيهَا تَسْلِيَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمُوَاجَهَةِ الصَّعُوبَاتِ وَالتَّحَدِّيَّاتِ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَةِ رَبِّهِ، فَأَخْبَرَهُ الْمَوْلَى سَبْحَانَهُ بِأَنَّهُ سَيَنْصُرُهُ، وَفِيهَا تَحْذِيرٌ لِلْمُشْرِكِينَ مِنْ عَذَابِهِ تَعَالَى، وَإِخْبَارُهُمْ بِأَنَّهُمْ سَيُحَاسِبُونَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلِذَمِّ الْمُشْرِكِينَ عَلَى ضَلَالَتِهِمْ وَكُفْرِهِمْ⁽²⁾، وَيجوز أَنْ تَكُونَ الْآيَةُ مَفْصُولَةً عَمَّا قَبْلَهَا؛ لِأَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ بَيَانِيٌّ، فَإِنَّهُ تَعَالَى لَمَّا سَلَّى رَسُولُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾؛ أَوْرَدَ فِي نَفْسِ الرَّسُولِ سُؤْلًا عَمَّا يُجِيبُهُمْ بِهِ، وَمَا يَكُونُ مِنْ قَوْلِهِ لَهُمْ، فَإِنَّ مَقْصُودَهُمْ تَحْقِيقَ مَكَانِهِ وَتَضْلِيلَ سَبِيلِهِ؛ فَكَانَ أَنْ أَجَابَهُمْ بِالْآيَةِ⁽³⁾.

انتقامُ الله من
أهل الشرك،
ومحاسبَتُهُمْ
على أفعالِهِمْ
وضلالَاتِهِمْ

غرض التعبير بالاسم الموصول وصلته:

اسْتَعْمِلَ الْاسْمُ الْمَوْصُولُ وَصَلَتُهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾؛ لِلإِشْعَارِ بِعِلَّةِ بِنَاءِ الْخَبَرِ عَلَى الصَّلَةِ؛ فَكَوْنُهُمْ ﴿شَرًّا مَكَانًا وَأَضَلَّ سَبِيلًا﴾ عِلَّةٌ لِحَشْرِهِمْ عَلَى وَجُوهِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَمَا أَصَابَهُمُ الْعَذَابُ وَالشَّرُّ إِلَّا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ، فَهُمْ أَحِقَّاءُ بِذَلِكَ

الإشعارُ بعِلَّةِ
بناءِ الْخَبَرِ عَلَى
الصَّلَةِ

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4 / 210.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19 / 23.

(3) الطَّيْبِيُّ، فتوح الغيب: 11 / 231.

المكان⁽¹⁾، وكلّ مَنْ يكون على هذه الصّفة الذّميّة يُحشَر على وجهه، ويدخل ضمن هذه الفئة.

دلالة التعبير بـ ﴿يُحْشَرُونَ﴾ مادّة وصيغة:

عُبر عن مصير المُشركين الضّالّين بأنّهم سوف ﴿يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ مُهانين، مع تغيير هِيئَتِهِمْ جزاءً وفاقاً؛ فتَجَسَّد هذه الصّورة انعكاس أعمالهم في الدّنيا على حالهم في الآخرة، فكأنّهم قد عاشوا حياتهم مُنغمسين في الذّنوب والضّلال، فحُرموا من بصيرة الهدى والتّصرّف الحقّ، بمُصاحبة الشّياطين الّتي تُؤزّهم وتُحرّكهم على الشرّ، فليس لهم اليوم إلّا حسابٌ عادل؛ لأنّ الآخرة مرآة أعمال الإنسان في الدّنيا الّتي يزرع فيها؛ فيحصد ما زرع⁽²⁾، وفي التعبير بصيغة المضارع تصويرٌ لحالهم كأنّه مُشاهدٌ حيّ.

سرّ وضع المظهر موضع المضمَر:

في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ﴾ إظهارٌ في مقام الإضمار على تقدير (هُم يُحْشَرُونَ)، فيعود الضّمير على الذين كفروا القائلين: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾، وفائدة ذلك أنّ مضمون الصّلة وهو ﴿شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ثابتٌ لأصحاب الضّمير، وأنّهم لا ينفكّون عنه أبداً؛ وليبَيّن على الصّلة موقع اسم الإشارة، فيكون التقدير: (ولا يأتونك بمثلٍ إلّا جئنّاك بالحقّ وأحسنَ تفسيراً، هم شرٌّ مكاناً وأضلُّ سبيلاً، ونحشّرهم على وجوههم إلى جهنّم)⁽³⁾..

بلاغة التّضمين في تعدية الحشر بحرف الاستعلاء:

في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ عدّى الحشر بحرف الاستعلاء، ومعنى الحشر في اللّغة: جمع النّاس من أماكن

وجوه مُقلّبة
وظلمة مُطبّقة
وعذابٌ أبديّ
جزاءً وفاقاً

شرّ الأمكنة
وضلال الشّبل
ثابتٌ للذين
كفروا لا ينفكّون
عنه

حشّر الكافرين
على وجوههم
قدرة إلهيّة،
ودلالة على
ذلّهم

(1) ابن باديس، مجالس التّدكير، ص: 261.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 13/382.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 23/19.

متفرقة متباينة نحو مكانٍ واحد، وهو صعيد يوم القيامة، وذلك يستدعي منهم المشي على أقدامهم؛ لذلك يتعدى بـ ﴿عَلَى﴾⁽¹⁾، فلما كان حالهم حاصلاً على الوجوه ضمَّنه المشي؛ فعُدِّي فعلُ الحشر بحرف ﴿عَلَى﴾، وآية ذلك: أَنَّ النَّاسَ قد فهموا ذلك، وتساءلوا عن كيفية مشيهم على وجوههم، فأجابهم بقدرته تعالى على ذلك⁽²⁾.

بلغة الوعيد لهم من خلال الجمع بين التشويه والتعذيب:

التعبير بالحشر على الوجوه في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ وعيدٌ شديد للكافرين؛ قصداً إلى الجمع بين تشويه الوجوه، وتعذيب النفوس والأجساد، فالوجه أرق تحملاً لصلابة الأرض من الأرجل، لكنهم لما روجوا الضلالة في صورة الحق، وأعرضوا عن دعوة الحق، كان ذلك العذاب جزاءً مناسباً لجرمهم ذاك أن جعل وجوههم محلَّ أرجلهم يمشون بها⁽³⁾.

بلغة التمثيل في الحشر على الوجوه:

قوله تعالى: ﴿يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ تركيبٌ بديعٌ معجز، يحتمل عدة دلالات؛ فيمكن أن يكون كنايةً عن حالةٍ معنويةٍ وهي الذلُّ والهوان، والحشر على الوجوه مؤذن بتوجههم نحو السفلى، فهم منكسو الرؤوس، وهذا التعبير استعارةً تمثيليةً لتوصيف حالة الكافرين يوم القيامة، فهم سيحشرون على وجوههم؛ دلالةً على الإفراط في ذلهم وهوانهم⁽⁴⁾، وإنما يحشرون على هذه الحالة؛ لأن قلوبهم كانت مائلةً في الدنيا نحو السفليات، بأن اتبعوا شهواتهم وأهواءهم، ومالوا نحو الدنيا وزخارفها وملذاتها⁽⁵⁾، فالجزاء من جنس العمل.

جزاءً مناسب
في حشر
الكافرين على
الوجوه، جمعاً
بين التشويه
والتعذيب

يساقون إلى
مصيرهم
كارهين معرضين
متلفعين بالذل
والهوان

(1) حرفٌ يُفيد الاستعلاء في أصل وضعه، يُنظر: الغكبري، الباب في علل البناء والإعراب: 1/ 359.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 217.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 217.

(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 210.

(5) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 14/ 91.

وَمَا كَانَ مِنْ حَالِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ عَنِ السُّجُودِ لِلَّهِ تَعَالَى كِبَرًا مِنْهُمْ، وَامْتِنَاعًا عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى؛ أَذَلَّ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ تِلْكَ الْوُجُوهَ، وَنَكَّسَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ⁽¹⁾.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ التَّمَثِيلُ بِالْحَشْرِ عَلَى الْوُجُوهِ مُرَادًا بِهِ عَدَمُ الْإِهْتِدَاءِ؛ كَتَعْبِيرِهِمْ فِي مَنْ يَمْشِي عَلَى وَجْهِهِ أَنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ يَذْهَبُ⁽²⁾، كَذَلِكَ فَإِنَّ الْكَافِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُحْشَرُونَ عَلَى وَجُوهِهِمْ تَائِهِينَ ضَالِّينَ لَا يَدْرُونَ أَيْنَ يَنْتَهَوْنَ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْحَشْرُ عَلَى الْوُجُوهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دَالًّا عَلَى الْإِسْرَاعِ بِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ مُصِيرِهِمْ؛ فَالْعَرَبُ تَقُولُ لِمَنْ كَانَ هَذَا حَالُهُ: قَدِمَ الْقَوْمُ عَلَى وَجُوهِهِمْ؛ حَالَةَ إِسْرَاعِهِمْ فِي الْمَجِيءِ⁽³⁾، وَالْإِسْرَاعُ تَعْجِيلُ الْعَذَابِ لَهُمْ بِمَدْعَاةٍ مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ كُفْرٍ وَضَلَالٍ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَعْرِيفًا بِأَنَّ الْمَحْشُورِينَ عَلَى وَجُوهِهِمْ هُمُ الَّذِينَ يَأْتُونَ بِالْأَمْثَالِ تَكْذِيبًا لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَإِذَا كَانَ قَصْدُهُمْ مَعَ ذَلِكَ الْإِنْتِقَاصَ مِنْ شَأْنِهِ ﷺ ذُكِّرُوا بِأَنَّ مَالَهُمْ شَرُّ مَكَانٍ، وَطَرِيقَهُمْ أَضَلُّ سَبِيلٍ دُونَ النَّبِيِّ ﷺ⁽⁴⁾.

نُكْتَةُ فَضْلِ قَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ شَرُّ مَكَانًا﴾:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ شَرُّ مَكَانًا﴾ جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ؛ تَسْلِيَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَدْ كَانَ الْكَافِرُونَ يُؤْذِنُونَهُ بِأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، وَيَحَاوِلُونَ التَّقْلِيلَ مِنْ شَأْنِهِ أَمَامَ النَّاسِ؛ فَجَاءَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ لَتُؤَكِّدَ عَظَمَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَّهُمْ مَهْمَا جَاؤُوا بِصِفَةٍ تَحُطُّ مِنْ شَأْنِهِ إِلَّا أَعْطَاهُ الْحَقُّ تَعَالَى مِنَ الْأَحْوَالِ وَالرَّفْعَةِ مَا هُوَ أَفْضَلُ كَشْفًا، فَلَا تَبَالٍ بِهِمْ، فَإِنَّهُمْ مُحْشَرُونَ عَلَى وَجُوهِهِمْ ذُلًّا وَإِهَانَةً، فَهُمْ شَرُّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا⁽⁵⁾.

**لَمَّا شَاحُوا
بِوُجُوهِهِمْ عَنْ
الْحَقِّ نَكَّسُوا
عَلَيْهَا فِي نَارِ
الْحَقِّ**

**تَسْلِيَةٌ لِرَسُولِ
اللَّهِ ﷺ وَإِعْلَاءُ
لِقَدْرِهِ**

(1) ابن باديس، مجالس التذكير، ص: 262.

(2) الكرمانى، غرائب التفسير: 2/ 815.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 333.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 23 - 24.

(5) الطيبي، فتوح الغيب: 11/ 232.

غَرَضُ الإِشَارَةِ بِـ ﴿أُولَئِكَ﴾ الْمُشَارَ بِهِ إِلَى الْبَعِيدِ:

أورد اسمُ الإِشَارَةِ ﴿أُولَئِكَ﴾ مُسْنَدًا إِلَى قَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ الْمُشَارَ إِلَيْهِمْ جَدِيرُونَ بِالْمَكَانِ الْأَشْرِّ، وَالسَّبِيلِ الْأَضْلِّ؛ مِنْ أَجْلِ مَا ذَكَرَ مِنْ صِفَاتِهِمْ وَأَحْوَالِهِم الَّتِي سَبَقَتْ؛ كَقَوْلِهِمْ: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان: 32] (1)، وَجَاءَ التَّعْبِيرُ بِـ ﴿أُولَئِكَ﴾ الدَّالُّ عَلَى اسْمِ الإِشَارَةِ لِلْبَعِيدِ (2)؛ لِاقْتِرَانِهِ بِأَدَاةِ الْبُعْدِ؛ تَحْقِيرًا لِشَأْنِهِمْ، وَإِشْعَارًا بِأَنَّهُمْ فِي حَالَةٍ مِنَ الْبُعْدِ وَالنَّأْيِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَنَّهُمْ مُحْشَرُونَ فِي جَهَنَّمَ عَلَى وُجُوهِهِمْ، مِمَّا يُضْفِي عَلَيْهِمْ شَعُورًا بِالْبُعْدِ وَالْبُغْضِ (3).

دَلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِـ ﴿شَرٌّ﴾ مَادَّةً وَصِغَةً:

التَّعْبِيرُ بِـ ﴿شَرٌّ﴾ بِمَعْنَى (أَشْرُّ) هُوَ لَفْظٌ تَفْضِيلٌ حُذِفَتْ هَمْزَتُهُ (4)، وَاسْتَعْمَالُهُ هُنَا لِإِرَادَةِ الْمُبَالَغَةِ فِي وَصْفِ شِدَّةِ شَرِّ مَكَانِ الْكَافِرِينَ، فَمَكَانُهُمْ فِي النَّارِ هُوَ أَسْوَأُ مَكَانٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَالْتَفْضِيلُ مُتَوَجِّهٌ إِلَى الْمُوصُوفِينَ بِشَرِّ الْمَكَانِ؛ فَهَؤُلَاءِ شَرُّ مَكَانًا مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُوصُوفِينَ، فَلَيْسَ التَّفْضِيلُ مُتَوَجِّهًا لِمَكَانِ الْمُؤْمِنِينَ؛ إِذْ لَيْسَ فِي مَكَانِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ شَرِّ (5)، وَ﴿شَرُّ مَكَانًا﴾ خَبَرٌ وَتَمْيِيزٌ لِلْمَبْتَدَأِ ﴿أُولَئِكَ﴾ (6)، "وَجُعِلَ الشَّرُّ لِلْمَكَانِ، وَهُوَ لِأَهْلِهِ؛ لِعَدَمِ اللَّبْسِ، وَلضَرْبِ مِنَ الْمُبَالَغَةِ" (7)، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: هَذَا الْمَكَانُ كُلُّهُ شَرٌّ، وَلَا يَوْجَدُ فِيهِ أَيُّ خَيْرٍ.

بِلَاغَةُ الْقَصْرِ:

تَعْرِيفُ طَرَفِي الْإِسْنَادِ وَهُمَا: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ﴾ وَ﴿أُولَئِكَ﴾:

- (1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24 / 19.
- (2) الأزهرّي، شرح التصريح على التوضيح: 146 / 1.
- (3) البقاعي، نظم الدرر: 383 / 13.
- (4) السبرافي، شرح كتاب سيبويه: 198 / 4.
- (5) الكرمانّي، لباب التفاسير، ص: 178.
- (6) الذويش، إعراب القرآن وبيانه: 11 / 7.
- (7) زكريا الأنصاري، إعراب القرآن العظيم، ص: 245.

المحشورون
على وجوههم
جديرون
بمستقر السوء
وضلال السبيل

المبالغة في وصف
شدة شر مكان
الكافرين

قصر قلب
للمبالغة
بتنزيلهم منزلة
من انحصر الشر
والضلال فيهم

لإفادة القصر الدال على المبالغة؛ فإنه نزلهم منزلة مَنْ كان الشر والضلال مُنحصراً فيهم، وروى عن مقاتل أن الكفار قالوا للمسلمين إنهم شرُّ الخلق، فنزلت هذه الآية؛ فيكون القصر قصر قلب؛ أي: هم «**شَرُّ مَكَّانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا**» لا المسلمون، وصيغتا التفضيل مَسْلُوبَتَا المُفاضلة على كلا الوجهين⁽¹⁾.

معنى الواو في قوله: «وَأَضَلُّ»:

الواو في قوله تعالى: «وَأَضَلُّ سَبِيلًا» عاطفة⁽²⁾، فقد عطفت هذه العبارة على قوله تعالى: «**شَرُّ مَكَّانًا**»، فإنهم لما نسبوا إليه الشر والضلال؛ قيل لهم: أنتم أشرُّ وأضلُّ، فإنه مَحْضُ خَيْرٍ وهداية⁽³⁾، وأنتم المُستجمعون للشر والضلال، و«**شَرُّ**» و«**وَأَضَلُّ**» صيغتا تفضيل في أصل وضعهما، إلا أنهما مَسْلُوبَتان معنى المُفاضلة، مُستعملتان هنا لإفادة المبالغة في اتصاف هؤلاء المشركين الضالين بالشر والضلال⁽⁴⁾.

نكتة التعبير بلفظ (السبيل) دون غيره:

في قوله تعالى: «**أُولَئِكَ شَرُّ مَكَّانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا**» أوتر التعبير بالسبيل دون الألفاظ الأخرى لفائدة الإحاطة والشمول؛ إذ يُشير السبيل إلى جميع أنواع الطرق، مما يعني أن ضلال هؤلاء الكافرين هو ضلال يشمل جميع الطرق التي سلكوها في حياتهم، وكلها بعيدة عن طريق الحق والإيمان، ثم إن لفظ (السبيل) يُستعمل فيما كان حقيقة كقوله تعالى: «**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا**» [طه: 53]، وفيما كان مجازاً كآلية موضع الشاهد، فالسبيل يُصدق على ما كان حقيقةً ومجازاً، وليس كذلك الألفاظ الأخرى إلا بالتأويل.

عطف على الشر
جمعاً بينه وبين
الضلال

يُطلق السبيل
على ما كان
حقيقةً ومجازاً،
وليس كذلك
الألفاظ الأخرى
إلا بالتأويل

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24 / 19.

(2) مجموعة مؤلفين، إعراب القرآن الكريم: 1590 / 3.

(3) الشهاب الخفاجي، حاشية على البيضاوي: 422 / 6.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24 / 19.

سِرُّ التَّقْيِيدِ بِالتَّمْيِيزِ فِي قَوْلِهِ: ﴿سَبِيلًا﴾:

لفظ ﴿سَبِيلًا﴾ وَقَعَ منصوباً على التَّمْيِيزِ⁽¹⁾؛ بيّناً لصفة الضَّلالِ وشِدَّتِهِ؛ فالأصلُ: أولئك أضلُّ منه في السَّبِيلِ، لكنَّه أوردَ السَّبِيلَ من بابِ التَّمْيِيزِ؛ إيذاناً بأنَّ سبيلهم ضالُّ لقوَّة الضَّلالِ منهم نحو مكانٍ سائرٍ⁽²⁾.

بلغة المجازِ العقليِّ في إسنادِ الضَّلالِ إلى السَّبِيلِ:

أُسندِ الضَّلالُ إلى السَّبِيلِ على طريقةِ المجازِ العقليِّ في قوله تعالى: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾، والأصل: وضَلَّ سبيلهم؛ لأنَّه تميِّزٌ مُحَوَّلٌ عن أصلِهِ الفاعلِ؛ لعلاقة السَّبَبِيَّةِ، فالسَّبِيلُ سببُ ضلالهم؛ وذلك لأنَّ السَّبِيلَ هو ما يسلكه الإنسانُ ليصلَ إلى وجهته، والكافرون قد ضلُّوا عن وجهَةِ الحقِّ، فاختاروا طريقَ الضَّلالِ مَسْلَكاً لهم، وغرَضُهُ: "إرادةُ المُبالِغَةِ في إيضاحِ شِدَّةِ ضلالِ المشركين"⁽³⁾؛ لأنَّ المعنى الحقيقيَّ هو ضلالُ المشركين أنفُسِهِمْ، وليس ضلالُ السَّبِيلِ؛ لأنَّه ليس مَحَلًّا للضَّلالِ، وإنَّما أوثرَ التَّعبيرُ به تأثيراً في السَّامِعِ، وتقويةً للمعنى وإيضاحاً.

غرضُ حذفِ المُفَضَّلِ عليه:

حُذِفَ المُفَضَّلُ عليه في قوله: ﴿أُولَئِكَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾؛ فالأصل: (شَرُّ مَكَانًا من مكانهم، وأضَلُّ سَبِيلًا من سبيلهم)، وإنَّما لم يذكُرْه لِيُفِيدَ "أنَّ مكانهم شَرُّ مكانٍ من أَمَكْنَةِ الشَّرِّ، وسبيلهم أضَلُّ سَبِيلٍ من سُبُلِ الضَّلالِ"⁽⁴⁾.

❁ الفُروْقُ المُعْجَمِيَّةُ:

السَّبِيلُ والصَّراطُ والطَّرِيقُ والنَّجْدُ:

السَّبِيلُ: اسمٌ عامٌّ يَصِحُّ إطلاقُهُ على الطَّرِيقِ، وعلى غيره؛ وقد

ضالُّ سبيلهم
إيذانٌ بقوة
الضَّلالِ منهم

إرادةُ المُبالِغَةِ
في إيضاحِ شِدَّةِ
ضلالِ المشركين

أسوأُ مكانٍ
وأضَلُّ سَبِيلٍ هو
مكانُ الكافرين
وسبيلهم في
الآخِرَةِ

(1) اللتجب الهمذاني، الفريد: 21 / 5.
(2) القنوني وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 92 / 14.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 217 / 6.
(4) ابن باديس، مجالس التذكير، ص: 261 - 262.

أولئك ضلّوا
جميع السبل
الحقيقية
والمجازية

يكون كنايةً عن القصد، وأمّا الصّراط: فهو الطّريق السّهل المذللّ
اليسيرُ على مَنْ يسلكه، وأمّا الطّريقُ: فليس شرطاً أن يكون سهلاً؛
بل قد يكون شاقّاً غير مُعبّد للسّير فيه⁽¹⁾، وأمّا النّجْد: فهو الطّريق
الَّذي يكون في ارتفاع⁽²⁾.

(1) العسكري، الفروق اللّغويّة، ص: 313.

(2) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 528.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والثلاثون،
سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفرقان الآية 42
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفرقان الآية 42
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 37، 812 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-79-2

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 37: المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفرقان الآية 42.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-79-2

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-8644972 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»